طلب استقالة من دائرة الوهم

بقلم : هادي دانيال

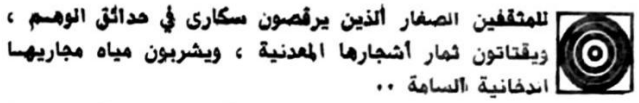

للمثقفين الصغار الذين يرقصون سكارى في حدائق الوهم ، ويقتاتون ثمار أشجارها المعدنية ، ويشربون مياه مجاريها الدخانية السامة ..

للدوكيشوتيين المنهارين على عتبات المكاتب المشبوهة ، واجهزة الانظمة ..

اقدم نموذج طلب استقالة من حدائق الوهم ، ودائرة الضياع .. لينضموا الى حقول الحياة ومصانع المستقبل ... :

منذ اثني وعشرين سنة ميلادية ، تدحرجت في شرايين البحر ، وقذفتني أمواج الشهوة الى رمال الشواطىء ، الى ابواب الهيـــاة لتصافح عيناي دم الفلاحين ، وعرق العمال ... وأزهار البرية ..

منذ تلألأت على شاشة العين سحابة الغيم الطالع من اصابـــع البحر ، منذ غاصت قدماي في الوحل الناتج عن عناق المطر والتـــراب ، منذ احمرت وجنتاي امام جمر الموقد في الشتاءات القروية ، منذ هجرت شفتاي حلمة الثدي الابيض كالثلج بين صخور الجبال المطلة علـــى البحر .. ، منذ ضاعت طفولتي بين مخالب الاوامر التي خرجت كالخناجر الحادة من حنجرة ابي .. منذ اقتلع الجوع من عيني دمعة مرة ... منذ اصفر جسد أخي « مظهر » كالاجساد المتدلية من أعواد مشانـــق الانظمة ... منذ تعرفت معدتي على قروص الفلافل المدورة كالقمر في ليالي الاطفال ... منذ انتشر دمي على اصابع ابي الذي فشل في تعليمي الصلاة ... منذ قذفت وزارة التربية والمعلمين بقصائدي الاولـــى ، الحادة كسيوف فرسان الكتب العتيقة ... منذ ارتعشت شفتاي في فـم امرأة عارية ... منذ سمعت لاول مرة اسم « أرنستو تشي جيفـارا » حين اغتاله الامبرياليون ...

خرجت من الاطارات المزخرفة ، كسرت خطوط الدوائر الملونـــة ، وانطلقت عبر الارصفة : ارصفة القرى ، ارصفة المدن الساحلية ، ارصفة المدن الداخلية ، ارصفة البلدان مختلفة الانظمة والطقوس الجغرافية ، ارصفة الانهار ، ارصفة البحار ، ارصفة الثورات ، ارصفة الشعـــر ، ارصفة الموسيقى والحانات والمكتبات العامة .. ابحث عن وطـــن بلا حدود !! ..

- ٣ -

وتعرفت على ابنادق ، والكتب ، والفتيات الصغيرات ، وامرأة استوى جسدها ونضج على موقد الزمن ..

وتعرفت على « لينين » ، و « جيفارا » ، و «مايا كوفسكـــي » ، و « غوركي » ، و « بابلو نيرودا » ، وعلى « بدر شاكر السيـــاب » ، و « محمود درويش » ، و « ممدوح عدوان » ، و « نزيه ابو عفـش » ، .. وابتسمت حزنا على « رامبو » ..

وأخرجت من قلبي خارطة أحلامي الضخمة والصغيرة ، التـــي امترأت على موائد الصداقات العابرة ، وتنقلت وحيدا كالسيف بين الغرف الفارغة ، وامتلأت برائحة الحياة والموت والحب والحقد .. آه لقد امتلأت بالرائحة ..

ايقنت ان يدي تزهر الاشعار في الورق ، والرغبة الكامنة فـــي اجساد النساء ، والايماءات الرشيقة للوطن الذي ابحث عنه ..

قاتلت اطفالا استشهدوا ، مقاتلين اخترق الرصاص صدورهـــم ، ثوارا اغتيلوا بالخناجر او الامراض الوبائية .. وقابلت اشباه ثـــوار قبضوا ثمن « ثورجياتهم » عربات ملونة تدوس أفراح الفقراء ، وشققا فخمة يشربون على أرائكها بكؤوس مذهبة عرق العمال والفلاحين ودم الرفاق ..

اشعلت شموعا فذابت في قبضة الليل الذي يقهقه ساخرا ، اضرمت النار في خضرة الشوك فامتلأ فمي رمادا ، استفزيت « الزئاب الاليفة » فافترست اغنياتي .. ايقظت الذاكرة فتدفق التعب النائم فـــي شراييني ... حلمت بالحدائق الملتصقة بالارض فانهالت علي الكوابيس من نافذة الغرفة الموحشة ...

رفعت رأسي الى السماء ، فاصطدم بنجمة ، وسال الدم علـــى عيني المفتوحتين في قبر ليس هادئا ، وليس ضيقا ..

الارض اخرجتني الى الحياة وحيدا ، وكنت اخشى ان تعيدني الى بطنها وحيدا ايضا .. كان وجهي متموجا كالبحر الذي استحال ميدانا للحروب .. !!

- ٣ -

ادخلتني الحرب الى عتبات الحقول المشتعلة ، وبقيت على العتبات ... اراقب الفراشات وهي تحترق بنـــار المصابيـــح المكســـورة ، والفلسطينيين وهم يقاتلون الانظمة والقدر ، ويرسمون على « سبورة » المدرسة العربية طريق الارض التي تنتظر التحرير ..

- ٤ -

كادت الحرب أن تنتهي ، فخرجت من العتبات الى الارصفـــة والمقاهي ونوادي الثرثرة .. كنت منبهرا بتنظيرات المعقدين سياسيا وثقافيا .. الى أن استيقظت ذات يوم ، اقبض على الايام الماضيـــ التي ازهرت رمادا مرا .. فكتبت القصيدة التي يجب ان لا تتكرر !!

- ٥ -

فدخلت دائرة تتدحرج الى بستان الحرية ..

- ٦ -

ليست دعوة لتعطيل الذهن ، بل دعوة لتصفيته مما ليس منطقي ومعقول ..

- ٧ -

ما يزال المطر يغسل شظايا الحروب ، والفحم يحترق في العربـــه الاولى من القطار الذي يصفر بوجه الزمن ..

ما يزال الشعراء الضائعون يتثاءبون على صفحات المطبوعـــات البرجوازية ... وما زلت ابحث عن وطن ، عن عينين وذراعين يتفجران حنانا ..

وما يزال طريقي الخالي من المحطات المضيئة يمتد امامي .. كأني لم أخط خطوة واحدة وكأن الرماد على شفاهي لم ينثره اللهاث . كأن الخيول لا تعترف بمهمازي . كأن الليل لم يعترف بقناديلي . كأني لا أزال وحيدا ..

لكن ثقتي بدائرة النضال التي تدور على طريق الحرية ، تجـــدد دمي ، وتلصق أشعاري بجذر الارض وتفتح ذهني على آفاق المستقبل ..

اخيرا ستصل الدائرة وتنفتح على ارض الوطن الذي يولد من رحم الانتظار الصعب ... وحينها لن اذوق ثانية طعم الخيبة !

□ بيروت ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٨